شَحْذُ الْهِمَمِ

إِلَى بَيَانِ أَنَّ بِالْحَمْدِ تُشْكَرُ النِّعَمُ

كَتَبَهُ :

الْفَقِيْرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ

حمد أبو زيد العتيبي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الْحَمْدُ للهِ عَلَى أَفْضَالِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَنَوَالِهِ،

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنْ دَوَاعِي مُشَارَكَتِي فِي هَذَا الْمَبْحَثِ اللَّطِيْفِ التَّفَاؤُلُ بِعُنْوَانِهِ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَسْلُكَنَا ضِمْنَ الَّذِيْنَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[سَبَأ: ١٣].

وَأَسْأَلُهُ –سُبْحَانَهُ– أَنْ يُبَصِّرَنَا بِأَمْرِ دِيْنِنَا حَتَّى نُؤَدِّيَ شُكْرَ نِعَمِهِ الَّتِي لَنْ نَبْلُغَ مُنْتَهَاهَا. بَلِ الْحَالُ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–: "الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُؤَدَّى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوْجِبُ مُؤَدِّيْ مَاضِي نِعَمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حَادِثَةً يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهُ بِهَا" (الرسالة، ص: ٧ – ٨).

لَقَدْ أَوْرَدَ بَعْضُ الْفُضَلاءِ مَسْأَلَةً لَطِيْفَةً، فَقَالَ: "قَوْلُنَا: شُكْراً لا يَحْصُلُ بِهِ الشُّكْرُ، بِخِلافِ قَوْلِنَا: حَمْدَاً لَكَ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الْحَمْدُ" انْتَهَى الْمَقْصُوْدُ.

وَسَاقَ بَعْضَ الأَدِلَّةِ، وَعَارَضَهُ فُضَلاءُ آخَرُوْنَ. وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مُفِيْدَةٌ وَنَافِعَةٌ، وَأَنَّهَا تَحْتَاجُ تَحْرِيْراً وَبَيَانَاً أَكْثَرَ مِمَّا أَدْلَى بِهِ الأُسْتَاذُ الْفَاضِلُ فِي الْمَسْأَلَةِ ظَهَرَ لِي أَنْ أُشَارِكَ فِيْهَا بِمَا فَتَحَ اللهُ بِهِ. وَاللهُ الْمُوَفِّقُ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

فَأَقُوْلُ –مُسْتَهِلّاً خِطَابي بِذِكْرِ عِبارَتَيْنِ تَحْتَهُمَا مَعَانٍ عَزِيْزَةٍ، وَبِهِمَا يَتَحَرَّرُ الْجَوَابُ، وَيَزُوْلُ الإِشْكَالُ –إِنْ شَاءَ اللّهُ–:

الْعِبَارَةُ الأُوْلَى: (حَمْدُ الشُّكْرِ)، وَالْعِبَارَةُ الثَّانِيَةُ: (الشُّكْرُ الْمَقُوْلُ).

كِلْتَا الْعِبَارَتَيْنِ مِنْ سَبْكِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ –رَحِمَهُ اللّهُ– وَتَحْرِيْرِهِ، وَتَقْرِيْرِهِ لِمَعْنَى الشُّكْرِ، وَبَيَانِ أَنْوَاعِهِ.

فَقَدْ بَيَّنَ مَا هُوَ مَعْرُوْفٌ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ: الْمَدْحَ، وَالثَّنَاءَ عَلَى الْمَحْمُودِ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِ، سَوَاءٌ كَانَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْحَامِدِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى إِحْسَانِ الْمَشْكُورِ إِلَى الشَّاكِرِ، فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ: الْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ الشُّكْرِ ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمَحَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْمَدُ عَلَى مَالَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَمَا خَلَقَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}[الإِسْرَاءُ: ١١١].

وَقَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}[الأَنْعَامُ: ١]. وَقَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} [سبأ: ١]. وَقَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر: ١].

وَأَمَّا الشُّكْرُ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْإِنْعَامِ، فَهُوَ أَخُصُّ مِنْ الْحَمْدِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَكِنَّهُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ، كَمَا قِيلَ:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً *** يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} [سبأ: ١٣].

وَالْحَمْدُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَنْوَاعِهِ، وَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَسْبَابِهِ" (الْفَتَاوَىْ الْكُبْرَىْ: ٢/٣٧٨ - ٣٧٩).

فَأَنْتَ تَلْحَظ أَنَّ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ يَشْتَرِكَانِ فِيْ صُوْرَةٍ، وَهِيَ مُقَابَلَةُ النِّعْمَةِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. فَالاعْتِرَافُ بِالنِّعْمَةِ وَنِسْبَتِهَا إِلَيْهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَى اللهِ بِهَا بِاللِّسَانِ، وَالتَّحَدُّثُ بِذَلِكَ.

فَهُنَا -عِنْدَنَا- مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الأَوْلُ: إِثْبَاتُ هَذَا النَّوْعِ الْمُشْتَرَكِ، وَالَّذِيْ عَبَّرَ عَنْهُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةِ -رَحِمَهُ اللهُ-: (بِحَمْدِ الشُّكْرِ)، (وَبِالشُّكْرِ الْمَقُوْلِ).

الْمَطْلَبُ الثَّانِيْ: فِيْ ثُبُوْتِ هَذَا النَّوْعِ الْمُشْتَرَكِ نَصِلُ إِلَىْ أَنَّ كَلِمَةَ: (اشْكُرُكَ) وَنَحْوَهَا لَيْسَتْ هِيَ الشُّكْرُ الْقَوْلِيْ، وَإِنَّمَا هِيَ: (اسْمٌ لِلشُّكْرِ) أَوْ (إِخْبَارٌ عَنْهُ). وَأَنَّ حَقِيْقَةَ إِنْشَاءِ الشُّكْرِ -الشُّكْرِ الْقَوْلِيْ- هُوَ حَمْدُ اللهِ.

وَإِلَيْكَ تَحْرِيرَ الْقَوْلِ فِي الْمَطْلَبَيْنِ:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ –رَحِمَهُ اللهُ–: "وَلَمَّا قَالَ –سُبْحَانَهُ– : {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ذَكَرَ التَّكْبِيرَ وَالشُّكْرَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}.

وَالشُّكْرُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَهُوَ الْحَمْدُ وَيَكُونُ بِالْعَمَلِ كَمَا قَالَ –تَعَالَى–: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} فَقَرَنَ بِتَكْبِيرِ الْأَعْيَادِ الْحَمْدَ . فَقِيلَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَاَللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ طُلِبَ فِيهِ التَّكْبِيرُ وَالشُّكْرُ . . . لِيَجْمَعَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْحَمْدِ حَمْدَ الشُّكْرِ" (مَجْمُوْعُ الْفَتَاوَى: ٢٤/٢٣٠).

وَقَالَ –أَيْضاً–: "وَ (الْحَمْدُ نَوْعَانِ) : حَمْدٌ عَلَى إحْسَانِهِ إلَى عِبَادِهِ. وَهُوَ مِنْ الشُّكْرِ؛ وَحَمْدٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ مِنْ نُعُوتِ كَمَالِهِ" (مَجْمُوْعُ الْفَتَاوَى: ٦/٨٤).

وَقَالَ –أَيْضاً–: "وَلِهَذَا كَانَ الرَّبُّ مَحْمُوْداً حَمْداً مُطْلَقاً عَلَى كُلِّ مَا فَعَلَهُ، وَحَمْداً خَاصّاً عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَى الْحَامِدِ؛ فَهَذَا حَمْدُ الشُّكْرِ، وَالأَوْلُ حَمْدُهُ عَلَى كُلِّ مَا فَعَلَهُ" (مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ: ٥/٢٨٠).

وَنُكْتَةُ الْمَسْأَلَةِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ وَاللُّغَوِيِّ أَنَّ الشُّكْرَ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١) شُكْرُ الْقَلْبِ، وَيَكُوْنُ "بِمَعْرِفَتِهِ لَهَا وَالِاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ هُوَ مُسْدِيهَا وَالْمُنْعِمُ بِهَا".

٢) شُكْرُ اللِّسَانِ، وَيَكُوْنُ "بِالْحَمْدِ لَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا".

٣) شُكْرُ الْجَوَارِحِ، وَيَكُوْنُ "بِالتَّصَرُّفِ بِهَا فِيمَا يُحِبُّهُ وَيُرْضِيهِ وَهُوَ مَا أَسْدَاهَا لِأَجْلِهِ مِنْ حِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ".

قَالَ الرَّاغِبُ —رَحِمَهُ اللّٰهُ—: "وَالشُّكْرُ ثَلاثَةُ أَضْرُبٍ: شُكْرُ الْقَلْبِ، وَهُوَ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ. وَشُكْرُ اللِّسَانِ، وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ. وَشُكْرُ سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَهُوَ مُكَافَأَةُ النِّعْمَةِ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ" (الْمُفْرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ، ص: ٢٦٥).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَشِيْدِ رِضَا —رَحِمَهُ اللّٰهُ—: "وَشُكْرُ النِّعْمَةِ لِلْمُنْعِمِ يَكُونُ أَوَّلًا بِمَعْرِفَتِهَا لَهُ وَالِاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ هُوَ مُسْدِيهَا وَالْمُنْعِمُ بِهَا – وَثَانِيًا بِالْحَمْدِ لَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا – وَثَالِثًا بِالتَّصَرُّفِ بِهَا فِيمَا يُحِبُّهُ وَيُرْضِيهِ وَهُوَ مَا أَسْدَاهَا لِأَجْلِهِ مِنْ حِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ" (تَفْسِيْرُ الْمَنَارِ: ٨/٢٩٠).

وَالَّذِيْ يَهُمُّنَا مِنْ مَعَانِيْ الشُّكْرِ مَا تَعَلَّقَ مِنْهُ بِاللِّسَانِ. وَإِنَّ حَقِيْقَتَهُ اللُّغَوِيَّةِ هِيَ الثَّنَاءُ: الَّذِيْ هُوَ تَكْرَارُ أَوْصَافِ الْمُنْعِمِ حَمْدًا لَهُ عَلَى نِعَمِهِ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ —رَحِمَهُ اللّهُ-: "(شَكَرَ) الشَّيْنُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ: أُصُوْلٌ أَرْبَعَةٌ مُتَبَايِنَةٌ بَعِيْدَةُ الْقِيَاسِ. فالأَوْلُ: الشُّكْرُ: الثَّنَاءُ عَلَى الإِنْسَانِ بِمَعْرُوْفٍ يُوْلِيْكَهُ"(مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ: ٣/١٦١).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُوْرٍ —رَحِمَهُ اللّهُ-: "الشُّكْرُ عِرْفَانُ الإِحسان ونَشْرُه" (لِسَانُ الْعَرَبِ: ٤/٤٢٤).

نَسْتَفِيْدُ مِنْ هَذَا أَنَّ الشُّكْرَ اللِّسَانِي يَحْصُلُ بِأَمْرَيْنِ:

- التَّحَدُّثِ بِالنَّعْمَةِ وَنَشْرِهَا وَعَدَمِ سَتْرِهَا وَجَحْدِهَا.
- الثَّنَاءِ عَلَى الْمُنْعِمِ بِهَا.

وَلِهَذَا قَالَ الرَّاغِبُ —رَحِمَهُ اللّهُ-: "شَكَرَ: الشُّكْرُ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ وَإِظْهَارُهَا، قِيْلَ وَهُوَ مَقْلُوْبٌ عَنِ الْكَشْرِ أَيْ: الْكَشْفِ، وَيُضَادُهُ الْكُفْرُ، وَهُوَ نِسْيَانُ النِّعْمَةِ وَسَتْرِهَا، وَدَابَّةٌ شَكُوْرٌ مُظْهِرَةٌ بِسِمَنِهَا إِسْدَاءَ صَاحِبِهَا إِلَيْهَا، وَقِيْلَ أَصْلُهُ مِنْ عَيْنٍ شكرى أَيْ مُمْتَلِئَة، فَالشُّكْرُ عَلَى هَذَا هُوَ الامْتِلاءُ مِنْ ذِكْرِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ" (الْمُفْرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ، ص: ٢٦٥).

وَهَذَانِ الْمَعْنَيَانِ ثَبَتَا فِيْ عَدَدٍ مِنَ الأَحَادِيْثِ الَّتِيْ تُبَيِّنُ أَنَّ (الشُّكْرَ الْقَوْلِيَّ) حَقِيْقَتُهُ إِظْهَارُ النِّعْمَةِ وَنَشْرِهَا، وَالثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ بِهَا بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ وَتَكْرَارِ ذَلِكَ، وَمِنْهُ حَمْدُهُ، وَإِلَيْكَ بَعْضَهَا:

(١) "التَّحدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ" مِنْ حَدِيْثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ —رَضِيَ اللهُ عَنْهُ—.

(حَسَنٌ: صَحِيْحُ الْجَامِعِ، برقم: ٣٠١٤).

(٢) "كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُوْلُ: لَوْلا أَنَّ اللهَ هَدَانِيْ. فَيَكُوْنُ لَهُ شُكْرٌ. وَكُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُوْلُ: لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِيْ. فَيَكُوْنُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ" مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ —رَضِيَ اللهُ عَنْهُ—.

(حَسَنٌ: صَحِيْحُ الْجَامِعِ، رقم: ٤٥١٤).

(٣) "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ، فَلْيَجْزِ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ اثْنَى فَقَدْ شَكَرَ. وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ" مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ—رَضِيَ اللهُ عَنْهُ—.

(صَحِيْحٌ: السِّلْسِلَةُ الصَّحِيْحَةُ، برقم: ٦١٧).

(٤) "مَنْ أُتِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيُكَافِىءْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ، فَإِنَّ مَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ" مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ —رَضِيَ اللهُ عَنْهَا—.

(حَسَنٌ لِغَيْرِهِ، التَّرْغِيْبُ وَالتَّرْهِيْبُ، برقم: ٩٧٢).

(٥) "مَنْ أُبْلِيَ بَلاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ" مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ— رَضِيَ اللهُ عَنْهُ— (صَحِيْحٌ: صَحِيْحُ الْجَامِعِ، برقم: ٥٩٣٣).

(٦) "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مُبْتَلَى، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ عَافَانِيْ مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِيْ عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيْرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيْلاً كَانَ شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةَ" مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ—رَضِيَ اللهُ عَنْهُ—.(حَسَنٌ: صَحِيْحُ الْجَامِعِ، برقم: ٥٥٥).

(٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ–، فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللهِ: "رَأَيْتُ فُلانًا يَشْكُرُ يَذْكُرُ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُ دِيْنَارَيْنِ"، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَكِنَّ فُلاناً قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْمَائَةِ فَمَا شَكَرَ، وَمَا يَقُوْلُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِيْ بِحَاجَتِهِ مُتَأَبِّطُهَا وَمَا هِيَ إِلا النَّارُ". قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ لِمَ تُعْطِهِمْ. قَالَ: "يَأْبَوْنَ إِلا أَنْ يَسْأَلُوْنِي وَيَأْبَى اللهُ لِيَ الْبُخْلَ" مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–. (صَحِيْحُ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ، برقم: ٨٤٤).

(٨) " عَنْ أَنَسِ بْنِ مالك –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: أَتَى أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْأَشْهَلِيُّ النَّقِيبُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَذَكَرَ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَاجَةٌ قَالَ: وَقَدْ كَانَ قَسَمَ طَعَامًا فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "تَرَكْتَنَا حَتَّى ذَهَبَ مَا فِي أَيْدِينَا فَإِذَا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قَدْ جَاءَنَا فَاذْكُرْ لِي أَهْلَ الْبَيْتِ" قَالَ: فَجَاءَهُ بَعْدَ ذَلِكَ طَعَامٌ مِنْ خَيْبَرَ: شَعِيرٌ وَتَمْرٌ، قَالَ: وجُلُّ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ نِسْوَةٌ قَالَ: فَقَسَمَ فِي النَّاسِ وَقَسَمَ فِي الْأَنْصَارِ فَأَجْزَلَ وَقَسَمَ فِي أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ فَأَجْزَلَ فَقَالَ لَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَشْكُرُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَنَّا أَطْيَبَ الجزاء –أو قال: خيراً– فَقَالَ: –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فَجَزَاكُمُ اللَّهُ أَطْيَبَ الْجَزَاءِ –أَوْ قَالَ: خَيْرًا– مَا عَلِمْتُكُم أَعِفَّةٌ صُبُرٌ وَسَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً

فِي الْأَمْرِ وَالْعَيْشِ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحوض" (قال الألباني في التعليقات الحسان: "صحيح، (الصحيحة): (٣٠٩٦)".

فَالْمَقْصُوْدُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيْثِ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ بِالْقَوْلِ فَلَهُ سَبِيْلانِ:

الْأَوْلُ: التَّحَدُّثُ بِالنِّعْمَةِ.

الثَّانِيْ: أَنْ يَحْمَدَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِهَا.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ -أَيْضَاً- وَبِصُوْرَةٍ صَرِيْحَةٍ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِله إِلا اللهُ، وَأَفْضَلُ الشُّكْرِ الْحَمْدُ للهِ" (حَسَنٌ: السِّلْسِلَةُ الصَّحِيْحَةُ، برقم: ١٤٩٧).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}. فَأَمَرَ بِالْأَكْلِ وَالشُّكْرِ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ بِأَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)؛ فَجَعَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ حَمْدَ اللهِ عَلَيْهَا.

فَالْحَمْدُ هُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْشِأَ الشُّكْرَ اللِّسَانِيْ فَلْيَحمَدِ الله؛ فَهُوَ شُكْرٌ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ –رَحِمَهُ اللهُ-: "وَإِذَا كَانَ الْحَمْدُ لَا يَقَعُ إلَّا عَلَى نِعْمَةٍ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَهُوَ أَوَّلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى نِعْمَةٍ وَعَلَى حِكْمَةٍ، فَالشُّكْرُ بِالْأَعْمَالِ هُوَ عَلَى نِعْمَتِهِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ لَهُ لِإِلَهِيَّتِهِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ حِكْمَتَهُ، فَقَدْ صَارَ مَجْمُوعُ الْأُمُورِ دَاخِلًا فِي الشُّكْرِ. وَلِهَذَا عَظَّمَ الْقُرْآنُ أَمْرَ الشُّكْرِ، وَلَمْ يُعَظِّمْ أَمْرَ الْحَمْدِ مُجَرَّدًا إذْ كَانَ نَوْعًا مِنْ الشُّكْرِ، وَشُرِعَ الْحَمْدُ الَّذِي هُوَ الشُّكْرُ مَقُولًا أَمَامَ كُلِّ خِطَابٍ مَعَ التَّوْحِيدِ، فَفِي الْفَاتِحَةِ الشُّكْرُ مَعَ التَّوْحِيدِ، وَالْخُطَبُ الشَّرْعِيَّةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ الشُّكْرِ وَالتَّوْحِيدِ. وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ نَوْعَانِ: فَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِيهَا الشُّكْرُ وَالتَّنْزِيهُ وَالتَّعْظِيمُ، وَلَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَاَللَّهُ أَكْبَرُ فِيهَا التَّوْحِيدُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقَدْ قَالَ –تَعَالَى-: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}" (مَجْمُوْعُ الْفَتَاوَى: ٨/٢١١ – ٢١٢).

إِذَا كَانَ شُكْرِيْ نِعْمَةَ اللهِ نعمةً .... عَلَيَّ لَهُ فِيْ مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بُلُوْغُ الشُّكْرِ إلا بِفَضْلِهِ .... وَإِنْ طَالَتْ الأَيَامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِيْنَ نِعَمَكَ الْمُثْنِيْنَ بِهَا عَلَيْكَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.